نظرية أفعال الكلام

في ضوء الأسلوبين الخبري والإنشائي

الطالبة الباحثة: عرابي غالية
مخبر الخطاب الحجاجي
جامعة ابن خلدون ـ تيارت ـ الجزائر

إشراف الأستاذ الدكتور: عزوز ميلود
مخبر الخطاب الحجاجي
جامعة ابن خلدون ـ تيارت ـ الجزائر

الملخص: يعتبر مصطلح الفعل الكلامي من أهم المفاهيم التي تناولتها الدراسات التداولية، حيث كان لهذه النظرية الأثر البالغ على البحث اللساني والتداولية على الخصوص وتسعى هذه الدراسة إلى محاولة تقديم تصور اجمالي ودقيق في الآن نفسه عن مفهوم نظرية أفعال الكلام على الصعيدين العربي والغربي، على اعتبار أن علماءنا العرب تطرقوا لها ضمن كل من الاسلوب الخبري والإنشائي في دراساتهم اللغوية التراثية آنذاك، في حين تجلت نظرية أفعال الكلام في الدراسات الغربية في أعمال كل من أوستين وسيرل، من منظور بلاغي جديد. فما هي الأسس النظرية لأسلوبي الخبر والإنشاء في البلاغة القديمة؟ وما معايير التمييز بينهما عندهم؟ في المقابل لذلك فيم تتجلى التقسيمات التي اللغويين أوستين وسيرل لأفعال الكلام؟ وعلى أي أساس تم هذا التقسيم؟

الكلمات المفتاحية: أفعال الكلام- الأسلوب الخبري- الأسلوب الانشائي.

Abstract:

The speech act concept is regarded as one of the most important concepts dealt with in pragmatic studies where this theory had a great impact on linguistic research, in general, and pragmatics, in particular. This study seeks to present a comprehensive conception of the concept of the theory of the speech acts at the Arab and Western levels. On the grounds that our Arab scholars

تاريخ إيداع البحث: 21 نوفمبر 2018.
تاريخ قبول البحث: 29 سبتمبر 2019.

addressed them within both the narrative and expository styles in their traditional and heritage studies at the time. While the speech acts theory in Western studies was reflected in the work of Austin and Searle, from a new rhetorical perspective. What are the theoretical foundations of the narrative and expositive phenomena in our Arab rhetorical heritage? What are the criteria distinguishing between them? On the other hand, what are the divisions proposed by the linguists Austin and Searle for the speech acts theory manifested in? On what basis was this division done?
Keywords: Act of speech, narrative style, expositive style

مدخل:

معلوم لدى الباحثين في مجال اللغة والفلسفة أن الفلسفة التحليلية هي المنبع الأصلي الأول الذي تولد منه التيار التداولي، والتي تقوم أساسا على الدراسة العلمية للغة، وهو ما اتبعته الفلسفة الكلاسيكية كذلك، غير أن ما ميّز التحليلية عنها بل وكان الفاصل بينهما "هو أن الفكر الفلسفي القديم برمته لم يلتفت إلى اللغات الطبيعية، ولم يولها ما تستحق من الدراسة والبحث، فسعت الفلسفة التحليلية بذلك إلى ردم هذه الهوة والتكفير عن هذا الذنب، باتخاذ اللغة موضوعا للدارسة بوصفها أولى الأوليات في أي مشروع فلسفي يتوخى فهم الكون ومشكلاته فهما صحيحا"[1]، باعتبار أن فهم العالم والوجود يتطلب منا فهما للغة قبل ذلك، فهي الوسيلة التي نعبر بها عن مكنوناتنا وأفكارنا ومقصديتنا وحتى فهمنا للعالم الخارجي.

ومن المعروف أن الفلسفة التحليلية انقسمت إلى ثلاثة تيارات أو اتجاهات[2]

1- **الوضعانية المنطقية:** (positivisme logique) اهتم هذا الاتجاه بزعامة **كارناب** (Carnap) باللغة الاصطناعية الصورية في ألفاظها ومقاصدها، فهي لغة معلوماتية مصممة ومبرمجة، على عكس اللغة العادية المستعملة من قبل أشخاص عاديين، وهو ما يبين إقصاء هذا التيار لما ما يمكن أن تقدمه اللغات الطبيعية من قدرات تواصلية عجيبة، والحجة في ذلك أن اللغة المستعملة في كلامنا العادي اعتباطية، مما يحتّم علينا ضبطا في اللغة وصرامة، ودقة في المعاني ودراستها دراسة علمية محدودة في غاية الضبط والرسميات، غير أن وظيفة اللغة أبعد من ذلك بكثير، فلا جدوى من ممارستها ما لم تتميز بالحركية والمرونة في معانيها وتراكيبها أثناء استعمالنا لها في التعبير عن مكنوناتنا وأفكارنا ونقل معارفنا عن الآخرين والواقع، مما

يدّل على أن اللغة العادية هي الوحيدة الكفيلة بالتعبير عن أغراضنا، ومن الملاحظ أن اتجاه كارناب بعيد كل البعد عن نظرية أفعال الكلام، فهو لم يهتم بدراسة اللغة المستعملة التي تقوم على مجموعة من الأفعال الانجازية، بل على لغة الرموز الصورية، وبهذا فإن هذا الفرع من الفلسفة التحليلية ليس محل دراستها.

2- **الظاهراتية اللغوية (phénoménologie du langage)**: الظاهراتية أو الفينومونولوجيا أو علم الظواهر يقوم على ملاحظة ظاهرة ما كما هي موجودة، بالشكل المعطى، ثم وصفها بغية تقديم تحليل حولها من أجل فهمها ومعرفة ما تتميز به من خصائص.

وإذا قمنا بإسقاط هذه الشروط على الفلسفة، فإنه ينبغي دراسة الظاهرة الفلسفية انطلاقا من بنيتها ومشكل ظهورها أو انبثاقها، وما اتصل بها من ظواهر ... الخ، مما يضفي معاني ودلالات لهذه الظاهرة مع توفر مبدأ القصدية **l'intentionnalité** في دراستها في إطار الربط بين الوعي بمضمون الظاهرة والأشياء الكائنة خارجا. وتبقى الظاهرية بهذا بعيدة عن نظرية أفعال الكلام كل البعد غير أن ما ربطها بها هو "هذا المبدأ الإجرائي -القصدية- الجد مفيد في الدراسات التداولية استثمره الفيلسوف **أوستين** في دراسة ظاهرة الأفعال الكلامية، وقد قام تلميذه **سيرل (Searl)** بنفس الصنيع حينما اتخذه معيارا أساسيا لتصنيف القوى المتضمنة في القول"[(3)].

3- **فلسفة اللغة العادية (philosophie du langage ordinaire)**: رائد هذا الاتجاه **فيتجنشتاين *(Wittgenstein)**** وقد نشأت نظرية أفعال الكلام بين أحضان هذا التيار، فقد انصبّ اهتمام فلسفة اللغة العادية على دراسة اللغة الطبيعية العادية المستعملة في حياتنا اليومية، "منفصلة عن اللغات الاصطناعية الصارمة مع تأكيد فلاسفة هذا التيار **(فريجه-Frege، راسل- *Russell*، فيتجنشتاين-Wittgenstein**) على أن الغموض الذي تتصف به اللغة الطبيعية جوهري لها، فلا يمكن أو يصح تمثيله في اللغات الاصطناعية وإلا تغير موضوع البحث وهو اللغة الطبيعية، ولم تعد النتائج الحاصلة معبرة عنه"[(4)].

وعلى اعتبار أن فلسفة اللغة ترابط من الدراسات والبحوث والتي يعكف علها علماء المنطق والفلسفة، نشأت إثر مشكلات فلسفية متعلقة باللغة في جوهرها فإن حلّ هذه المعضلات الفلسفية يكون باللغة أيضا، على أساس أن "الخلافات والتناقضات المنتشرة بين الفلاسفة سببها الأساسي سوء فهمهم للغة وإهمالهم لها"(5)، ولربما لا يتضح هذا الخلاف إلا من خلال استعمال اللغة وممارستها من قبل متكلمين حقيقيين وفي وضعيات حقيقية، مع مراعاة مبدأ القصدية في العملية التواصلية.

وقد طور طرح **فيتجنشتاين** (***Wittgenstein***) فلاسفة أكسفورد **أوستين وسيرل**، مما أكسبه مكانة حقيقية بالرغم من أنّ فيتجنشتاين في بداية بحثه لطالما دعا إلى إقامة لغة مثالية (لغة صورية) لكن سرعان ما أدرك أن هذا المشروع مستحيل لأسباب مختلفة، "فاتجه إلى دراسة اللغة العادية كوسيلة للعمل الفلسفي"(6)، والتي تقوم على دراسة فعل الكلام تلفظا وانجازا وتأثيرا. ونلخص موقع الاتجاهات الثلاثة من التداولية وموقفها منها في المخطط أدناه: (7)

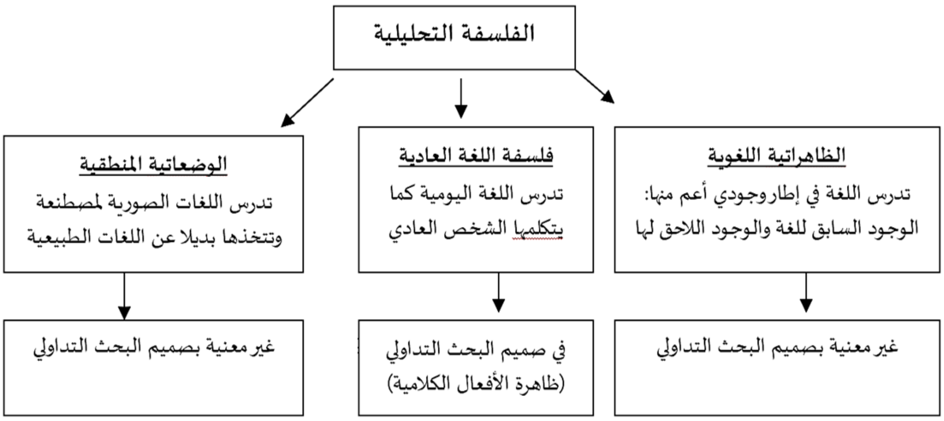

نظرية أفعال الكلام في البلاغة الجديدة: (***Les actes de langage***): على إثر اعتبار المناطقة والفلاسفة أن وظيفة اللغة تكمن في الوصف وإيجاد تسميات من خلال البحث في قواعدها وتراكيها وتطبيقها على الجمل والعبارات، فإن فلاسفة أكسفورد وعلى رأسهم **أوستين وسيرل** "قد ذهبوا إلى وجود استعمالات متباينة منوعة للغة، وبالتالي راحوا يبحثون عن قواعد الإستعمال، أي القواعد التي تحكم استعمال هذه العبارة أو تلك تحت هذا الظرف المعيّن أو ذاك"(8)، ما كشف عن أنماط متعددة

للعبارات والجمل والتي تحمل في جوهرها معان ذات غرض معين مثل: الاستفهام، التعجب، الطلب (الأمر، النهي)، الأداء، الإسناد، التأكيد، النفي، الإخبار، التقرير، الإثبات ... إلخ، مع العلم أن كل نمط منها يندرج تحته صنف من الأفعال الكلامية الإنجازية.

ويعد مصطلح الفعل الكلامي من أهم المفاهيم في الدرس التداولي العربي والغربي، "إذ يعتبر نواة مركزية في الكثير من الأعمال التداولية، وفحواه أنه كل ملفوظ ينهض على نظام شكلي دلالي إنجازي تأثيري"[9]، والملاحظ من خلال هذا القول أن كل ما يقال –باعتبار أن الملفوظ يستلزم قولا فهو عملية تلفظية لمجموعة من الأقوال- يتصف بالمادية كونه أداءً أو انجازا يحمل دلالة معينة بهدف التأثير في المتلقي لتحقيق غاية ما. وفكرة أفعال الكلام أو أفعال اللغة نشأت عن أهم مبدأ في الفلسفة اللغوية الحديثة، مهد الدراسات التداولية وتطورها، ألا وهو "أن الاستعمال اللغوي ليس إبراز منطوق غير لغوي فقط، بل انجاز حدث اجتماعي معين أيضا في الوقت نفسه"[10]. وحري بنا أن نتوقف هنا عند مصطلح حدث اجتماعي، والذي يعني في جوهره وجود شراكة لغوية في الفعل الكلامي بغية تحقيق عملية تواصلية صادرة عن مخاطِب وواردة إلى مخاطَب، مع مراعاة المقام الذي يصدر فيه فعل الكلام، كون القيمة الإبلاغية التي يقصدها المرسل ترتبط إلى حدٍّ كبير بالظروف المحيطة بالعملية التواصلية. "ومن ثمّ فإن الفعل الكلامي يطمح أن يكون ذا تأثير في المخاطَب اجتماعيا أو مؤسساتيا؛ فإنجاز شيء ما يتعلق بردود فعل المتلقي كالرفض والقبول". [11]

فيما يأتي سنقوم بعرض ظاهرة أفعال الكلام عند كل من أوستين وسيرل، على اعتبار مرحلة أوستين هي مرحلة التأسيس، بينما كانت مرحلة النضج والضبط المنهجي لهذه النظرية مع تلميذه سيرل، دون أن نخلط بين العملين، مع العلم أن كليهما من فلاسفة أوكسفورد كما ذكرنا آنفا.

1- فكرة أفعال الكلام عند أوستين: "يعد جون أوستين مؤسس هذه النظرية وواضع المصطلح الذي تُعرف به الآن في الفلسفة وفي اللسانيات المعاصرة"[12]، والتي أطلق عليها بعده عدة تسميات مثل: ظاهرة الحدث الكلامي،

نظرية الأفعال الإنجازية، نظرية أفعال اللغة، نظرية الحدث اللغوي، الأفعال الكلامية ... "وكان ذلك في المحاضرات التي ألقاها في جامعة أكسفورد في العقد الثالث من القرن العشرين، ثم في المحاضرات الاثني عشر التي ألقاها في جامعة هارفرد سنة 1955م ونشرت سنة 1962م بعد موته في كتاب عنوانه **How to do things with words**' [(13)].

وما ينبغي الإشارة إليه أن أوستين قد تأثر بما دعا إليه **فيتجنشتاين** **(Wittgenstein)** في قضية استعمال اللغة من أجل وصف العالم والوجود حولنا، مع تنبيهه واستثنائه لبعض الاستعمالات الأخرى للغة والتي "لا يمكن لها أن تصف وقائع العالم حولنا كالأمر، والاستفهام، الشكر، اللعن، التحية، الدعاء ... وقد سماها بألعاب اللغة **Langue games** وأطلق على كل استعمال منها لعبة، لأن له قواعد يتفق عليها مستعملو اللغة كما يتفق اللاعبون على قواعد اللعبة"[(14)]، مع الأخذ بعين الاعتبار السياق بكل أنواعه: اجتماعي، ثقافي، تاريخي ... بالإضافة إلى العرف لدى استعمالنا لكل واحدة منها في إطار اهتمام متساو بين كل اللعب.

وقد ميّز **أوستين** بين نوعين من الأفعال: أفعال إخبارية **Constative**، وأفعال أدائية إنجازية **Performative**، فالأولى –الإخبارية- تحتمل معياري الصدق والكذب ذلك أنها تخبر عن وقائع وأحداث للعالم الخارجي تكون إما صادقة أو غير صادقة أي كاذبة، وهي في حقيقة الأمر أفعال وصفية تقوم بوصف ما حدث أو وقع بصدق أو بكذب.

بينما الأفعال الأدائية هي عكس الأفعال الوصفية، فهي لا تحتمل الصدق كما أنها لا تحتمل الكذب أيضا، ينجزها المتكلم ويؤديها بشروط معينة والتي من بينها مطابقة الفعل مع الواقع كالاعتذار والترحيب، الوعد ....، حيث أننا نستخدم هذه الأفعال في التعبير عن المواقف التي تتطلب منا ترحيبا، أو اعتذار، أو وعدا ... وإلا يصبح الفعل غير موفق وتعيس **Unhappy** على حد تعبير **أوستين** ويصير بذلك لغوا.

وقد قسّم أوستين العبارات الملفوظة إنجازيا إلى نوعين: [(15)]

1- إنجازية (صريحة/ مباشرة): فعلها ظاهر (أمر، حضّ، دعاء، نهي) بصيغة الزمن الحاضر المنسوب إلى المتكلم.

2- **إنجازية (ضمنية/ غير مباشرة):** فعلها غير ظاهر، نحو: الاجتهاد مفيد =(أقول) الاجتهاد مفيد = (آمرك أن تجتهد).

وقد نشأ تصور لدى أوستين عن فكرة نظرية أفعال الكلام، إذ توصل في آخر مرحلة من مراحل بحثه إلى تقسيم الفعل الكلامي الكامل (**Acte de discours intégral**) إلى ثلاثة أفعال فرعية على النحو الآتي: (16)

أ- **فعل القول (الفعل اللغوي- *Acte locutoire*)**:

ويراد به إطلاق الألفاظ في جمل مفيدة، ذات بناء نحوي سليم وذات دلالة، ويبرز لنا هنا وجود شرطين أساسيين للفعل اللغوي هما الدلالة الواضحة والتركيب النحوي السليم، وهو ما يستلزم بالضرورة وجود مستويات أخرى على غرار التركيبي والدلالي، والمتمثلة في: المستوى الصوتي، والصرفي، والمعجمي ... (مستويات التحليل اللساني)، غير أنّ **أوستين** يسميها أفعالا، الفعل الصوتي: وهو التلفظ بسلسلة من الأصوات المنتمية إلى لغة معينة، أما الفعل التركيبي فيؤلف مفردات طبقا لقواعد لغة معينة، أما الفعل الدلالي فهو توظيف هذه الأفعال حسب معاني وإحالات محددة، فقولنا مثلا: (إنها ستمطر) يحتمل أكثر من دلالة، فيمكن أن يُفهم على أنه:

- إخبار بسقوط المطر.
- يمكن فهمه تحذيرا بعدم الخروج في رحلة مثلا.
- يمكن وجود احتمال آخر وهو أمر بحمل مظلة.

إلى غير ذلك من الاحتمالات مما يستدعي بنا الرجوع إلى قراءة السياق لتحديد قصد المتكلم أو غرضه من الكلام.

ب- **الفعل المتضمن في القول (Acte illocutoire)**:

وهو الحلقة المقصودة في النظرية برمتها، فهو «عمل ينجز بقول ما»، وهو الفعل الإنجازي الحقيقي القائم على أداء فعل معين، ولذا اقترح **أوستين** تسمية الوظائف اللسانية الثانوية خلف هذه الأفعال: القوى الإنجازية، ومن أمثلة ذلك السؤال، إجابة السؤال، إصدار تأكيد، أو تحذير، وعد، أمر، شهادة في محكمة ...

إلخ. والفرق بين الفعل الأول (أ) والفعل الثاني (ب) هو أن الثاني قيام بفعل ضمن قول شيء، في مقابل الأول الذي هو مجرد قول شيء.

ج- الفعل الناتج عن القول (Acte perlocutoire):

ويتضح هذا الفرع جليا من خلال الكلمات المكونة له، إذ يرى **أوستين** أنه مع القيام بفعل القول وما يصحبه من فعل متضمن للقول (القوة الإنجازية)، فإنّ الفاعل وهو الشخص المتكلم يقوم بفعل ثالث وهو: التسبب في نشوء آثار في المشاعر والفكر، ومن أمثلة ذلك الإقناع، التضليل، الإرشاد، التثبيط ... وهي في الحقيقة ردود أفعال لمتلقٍ تأثر بالقول فكانت ناتجة عنه، لذا سمّاه **أوستين** الفعل الناتج عن القول، وسماه البعض "الفعل التأثيري"[17].

وقياسا على هذا يمكن أن نميز فعل الكلام (قال بأنّ ...)، عن قوة فعل الكلام (احتج بأن...)، أو أن نفصلهما معا عن لازمي فعل الكلام (أقنعني بأن...)[18]. ويمكن أن نوجز معنى الفعل الناتج عن القول أنه رد فعل للمخاطَب عكسه تأثير المخاطِب على مشاعره وأفكاره.

ونخلص الآن إلى أن "الفعل اللغوي حسب تحليل **أوستين** يتكون من ثلاثة أفعال تشكل كيانا واحدا مع العلم أن هذه الأفعال الثلاثة يقع حدوثها في وقت واحد"[19]. واستنادا إلى مفهوم القوة الإنجازية قام **أوستين** بعد ذلك بتجميع الأفعال اللغوية في خمس فصائل كبرى تحتوي على: [20]

1- الحكمية: (الإقرارية- Verdictifs): وتقوم على الإعلان عن حكم، تتأسس على بداهة أو أسباب وجيهة تتعلق بقيمة أو حدث، مثال: إخلاء الذمة، وعَد، وصف، حلّل، قدّر، صنّف، قوّم، طبع ...

2- التمرسية: (Exersitifs): وتقوم على إصدار قرار لصالح أو ضد سلسلة أفعال، مثال: أمَر، قاد، دافع، ترجى، تأسف، نصح، عيّن، أعلن عن بداية جلسة وأغلق، نبّه، طالب ...

3- التكليف: (الوعدية- Commissifs): ويلزم المتكلم بسلسلة أفعال محددة، مثال: وعَد، تمنى، التزم بعقد، ضمن، أقسم، القيام بمعاهدة، الاندماج في حزب مثلا ... إلخ.

4- العرضية: (التعبيرية- Expositifs): وتستعمل في عرض مفاهيم وتبسيط موضوع، توضيح استعمال كلمات، ضبط مراجع ... مثال: أكّد، أنكر، أجاب، اعترض، وهب، مثّل، فسّر، نقل أقوالا ... وهي أفعال تعرِض مفاهيم مفصلة.

5- السلوكيات: (الإخباريات- Comportementaux): يتعلق الأمر هنا بردود أفعال تعبيرات اتجاه سلوك الآخرين، واتجاه الأحداث المرتبطة بهم، فهي تعابير مواقف اتجاه السلوك والمصير، مثال: الاعتذار، هنّأ، حيّ، رحّب، التعزية، المباركة، اللعنة ... وكذلك الاحتجاج. تقوم هذه الأفعال بضبط مكانة أقوالنا داخل الخطاب أو الحديث أو الحوار.

2-أفعال الكلام عند سيرل: يعتبر سيرل (Searle) تلميذ **أوستين (Austin)** وهو أول من طور فكرته حول نظرية أفعال الكلام، وبعد استفادته من دروسه اقترح **سيرل** بعض التعديلات واستطاع بناء نظرية مكتملة الأواصر، إذ "قدّم شروط انجاز كل فعل، إلى جانب بيانه شروط تحول فعل من حال إلى حال أخرى، وآليات ذلك، وتوضيح خطوات استنتاج الفعل المقصود"[21]. فقول «من في السيارة؟ لما لم تستعمل جهاز التحكم لإغلاقها؟ » يخضع إلى جملة من الاحتمالات لإدراك الفعل المقصود إنجازه، ومنها:

- السيارة مصفوفة في الشارع ولا ينبغي تركها مفتوحة ← فهو يأمرني بإغلاقها.

- الاجتماع سيكون مطولا ولا ينبغي تركها كل هذا الوقت دون إحكام غلقها ← فهو يطلب مني (بشكل ما) إغلاقها.

-وجدتها مغلقة، إذن أغلقها كما وجدتها فذلك من الأدب ← فهو معاتبة على سلوكي.

ومما قدمه **سيرل** أيضا أنه أعاد تقسيم الأفعال الكلامية وميّز بين أربعة أقسام:[22]

– فعل التلفظ (الصوتي والتركيبي).

- الفعل القضوي (الإحالي والجملي).
- الفعل الإنجازي (على نحو ما فعل **أوستين**).
- الفعل التأثيري (على نحو ما فعل **أوستين**).

ولإيضاح هذه الأفعال نمثل بما يلي:

- رفع القاضي الجلسة.
- أرفع القاضي الجلسة؟
- يا قاضي إرفع الجلسة.
- لو يرفع القاضي الجلسة !

عند النطق بأي من هذه الجمل يؤدي المتكلم ثلاثة أنواع من الأفعال الإنجازية في وقت واحد(23):

1- فعل التلفظ أو (الفعل النطقي): ويشمل الجوانب الصوتية والنحوية والمعجمية، ويتمثل في التلفظ الصوتي لأصوات الكلمات والجملة بنظام نحوي تركيبي.

2- الفعل القضوي: ويشمل المرجع (**Référence**) والمتحدث عنه، مع إحالة له من خلال استخدامه مع "فعل إنجازي- الوحدة الصغرى للاتصال اللغوي- ***Minimal-minute*** في إطار كلامي مركب ومقصدي "(24) وفي المثال الذي بين أيدينا يتمثل المرجع محور الحديث في القاضي وهو موجود في كل العبارات الأربع، مع وجود خبر مشترك بينها جميعا وهو رفع القاضي للجلسة، والمرجع والخبر يمثلان معا قضية **Proposition** هي: رفع القاضي للجلسة، وبذلك فإن القضية ككل مشتركة بين الجمل الأربع.

3- الفعل الإنجازي: كان إخبارا في العبارة الأولى، واستفهاما في الثانية، وأمرا في العبارة الثالثة، بينما كان في العبارة الرابعة تمنيا.

4- الفعل التأثيري (Acte perlocutoire): على نحو ما فعل **أوستين** غير أن **سيرل** لم يعطه أهمية كبيرة، ففي نظره ليس من الضروري أن يكون لكل فعل تأثير على المخاطب أو السامع يدفعه إلى إنجاز فعل ما كرد فعل له مثلا.

وسرعان ما أعاد اقتراح خمسة أصناف لها نذكر موجزة على النحو الآتي: (25)

1- الإخباريات(Assertives): والغرض الإنجازي فيها هو نقل المتكلم واقعة ما (بدرجات متفاوتة) من خلال قضية **Propositions يعبّر** بها عن هذه الواقعة، وأفعال هذا الصنف كلها تحتمل الصدق والكذب، فهي تمثيل للواقع وتسمى أيضا التأكيدات، الأفعال الحكمية، ويتضمن هذا الصنف معظم أفعال الإيضاح عند **أوستين Verdictives**.

2- التوجيهيات (Directives): وتسمى أيضا بالأوامر مما يعني أنها تحمّل المخاطَب على القيام بأمرها، وغرضها الإنجازي توجيه المخاطَب إلى فعل شيء ما. ويدخل في هذا الصنف: الأوامر، الرجاء، الاستعطاف، التشجيع، الدعوة، الإذن، النصح، والكثير من الأفعال ... وكثير من أفعال القرارات **Exersitives**، تدخل في هذا الصنف.

3- الإلزاميات (Commissives): وتسمى أيضا أفعال التعهد وهي أفعال التكليف عند **أوستين** حين التزام المتكلم بفعل شيء معيّن في المستقبل وشرط الإخلاص هو القصد بفعل القول، غير أنّ الظاهر هو اتجاه المطابقة بين التوجيهيات والالتزاميات واحد من حيث الإخلاص والرغبة الصادقة في الفعل، فهل يسوّغ لنا هذا ضمّها في قسم واحد؟ والجواب أن ذلك غير ممكن لعلتين: الأولى أن المرجع في الالتزاميات هو المتكلم، أما في التوجيهيات فهو المخاطَب، والثاني أن المتكلّم في الالتزاميات لا يحاول التأثير في السامع، أما في التوجيهيات يحاول التأثير فيه.

4- التعبيريات (Expressives): وهي الأفعال التمرسية عند **أوستين**، وغرضها الإنجازي هو التعبير عن الموقف النفسي تعبيرا يتوفر فيه شروط الإخلاص، وكل ما هو مطلوب الإخلاص فيه للتعبير عن القضية ويدخل في هذا الصنف أفعال الشكر والتهنئة، الاعتذار، التعزية، الترحيب، وكلها أفعال تعبّر عن حالة.

5- الإعلانيات (Déclarations): وتسمى أيضا بالانجازيات أو الإدلاءات، وهي تكون حين التلفظ ذاته، ولا يحتاج شرط الإخلاص هنا، فالسمة المميزة لهذا الصنف من الأفعال أن أداءها الناجح يتمثل في مطابقة محتواها القضوي للعالم الخارجي،

وكمثال على ذلك للتوضيح: فإذا أديت أنت فعل تعيينك رئيسا للوفد أداء ناجحا فأنت رئيس للوفد فعلا، وإذا أديت فعل إعلان الحرب فالحرب معلنة.

بالإضافة لهذا فإن لـ **سيرل** جهودا أخرى على غرار تقسيمه هذا والتي من بينها اثنا عشر مقياسا لنجاح الفعل الإنجازي: كغاية الفعل، توجهه، حالته السيكولوجية ... إلخ. وسماها شروط نجاح فعل القول، بالإضافة إلى تفرقته بين الأفعال اللفظية والأفعال الإنجازية، وقد قسّم الأفعال الإنجازية إلى صحيحة وضمنية أو مباشرة أو غير مباشرة، وبهذا يكون **سيرل** قد ناقش عددا وفيرا من مباحث نظرية أفعال الكلام التي أرسى مبادئها الأولية أستاذه **أوستين.**

نظرية أفعال الكلام في البلاغة العربية القديمة:

إن المتتبع للإنتاج العلمي لعلمائنا القدامى على العموم يجده ثريا، والتراث البلاغي على وجه الخصوص أكثر من ذلك ثراءً، حيث أسهم في وصف اللغة العربية وتحديد خصائصها والإحاطة وتفسير ظواهرها الخطابية منها والتواصلية، والتي من بينها ظاهرة أفعال الكلام مضغة الدراسات التداولية وأهم محاورها والتي لم ترد بهذه التسمية على وجه التحديد، وإنما وردت في بلاغتنا العربية ضمن أسلوبي «الخبر والإنشاء»، وقد تناولها على وجه الخصوص علماء المعنى والدلالة، باعتبار أن اللغة العربية من اللغات الطبيعية يستعملها متكلمون عاديون في وضعيات حقيقية عادية، تحمل مقاصد معينة وبأهداف محددة "للدلالة على القوة الإنجازية التي يريد المخاطب تضمينها كلامه كالاستفهام، والتمني، والإخبار، التقرير، التأكيد، النفي، الإثبات، الطلب، الترجي ... إلخ"[(26)].

وقبل التعريف بالأسلوبين الخبر والانشاء نشير إلى أن هذين المفهومين قد نشآ مع المعتزلة وصراعهم الفكري حول جدلية القرآن الكريم بأنه "وإن كان وحيا إلا أنه مخلوق، بدلا من العقيدة التي لا منازع فيها وهي أزلية القرآن الكريم وأنه غير مخلوق وحجتهم في ذلك أن ما تضمنه القرآن الكريم لا يخرج عن واحد من ثلاثة: أمر ونهي وخبر، وذلك مما ينفي عنه صفة القدم، ومن هنا جاء تحديد المعتزلة لمفهوم الخبر من حيث صدقه وكذبه"[(27)] يكمن في مدى مطابقته للواقع وعدم المطابقة.

أ- **الأسلوب الخبري:**

الخبر لغة: ورد في معجم العين باب الخاء مادة (خ، ب، ر): خبر: أخبرته وخبرته، والخبر: النبأ ويجمع على أخبار. والخبير: العالم بالأمر. والخُبر: مخبرة الإنسان إذا خُبّر، أي: جُرّب فبدت أخباره، أي: أخلاقه، والخُبر علمك بالشيء، تقول: ليس لي به خبر(28).

الخبر في المعنى الاصطلاحي: (وفي علم البلاغة على وجه التحديد) "هو الكلام الذي يحتمل الصدق والكذب، الصدق هو الخبر عن الشيء على ما هو به، أما الكذب فهو الخبر عن الشيء لا بما هو به، فالصدق أن يطابق الحكم الذي يتضمنه الكلام واقعا خارجه، والكذب أن لا يطابق الحكم واقعا خارجه"(29).

وقد عرفه ابن فارس (ت 395هـ) بقوله: "الخبر ما جاز تصديق قائله أو تكذيبه، وهو إفادة المخاطب أمرا في ماض من زمان أو مستقبل أو دائم نحو: قام زيد ويقوم زيد وقائم زيد، ثم يكون واجبا وجائزا وممتنعا، فالواجب قولنا: النار محرقة، والجائز قولنا: لقي زيد عمرا، والممتنع قوله: حملت الجبل"(30).

وعموما فإن الأسلوب الخبري سمي بهذا الاسم ذلك أنه ينقل خبرا يحمل في مضمونه أحداثا ووقائع لشخص واحد أو مجموعة من الأشخاص، احتمال صدقها أو كذبها يكمن في مدى مطابقتها للواقع أم لا، ويستثنى من هذا القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف والحقائق العلمية.

إن الإخبار في حقيقة الأمر هو وصف لحدث ما ونقله إلى المخاطَب، نقلا يحتمل الصدق والكذب، غير أن هناك من العلماء من قسّم الخبر لأكثر من ذلك، فالجاحظ مثلا: "لم يقف بالخبر عند حد الصدق والكذب، فهو ينكر انحصار الخبر في الصدق والكذب، ويزعم أن الخبر ثلاثة أقسام: صادق، وكاذب، وغير صادق ولا كاذب"(31).

-فالقسم الأول < الصادق >عند الجاحظ هو الذي يطابق الواقع.

-القسم الثاني < الكاذب > هو الذي لا يطابق الواقع مع الاعتقاد بأنه غير مطابق.

-أما القسم الثالث <الخبر الذي ليس بصادق ولا كاذب> فإنه أربعة أنواع: (32)

1- الخبر المطابق للواقع مع الاعتقاد بأنه غير مطابق.

2- الخبر المطابق للواقع بدون اعتقاد أصلا.

3- الخبر غير المطابق للواقع مع الاعتقاد بأنه مطابق.

4- الخبر غير المطابق للواقع بدون اعتقاد أصلا.

وقد كان لقدامة بن جعفر (ت337هـ) هو الآخر نظرته الخاصة لمفهوم الأسلوب الخبري، بوصفه من البلاغيين الأوائل الذين تطرقوا لمفهوم الخبر في كتابه «نقد النثر» بقوله: "والخبر هو كل قول أفدت به مستمعه لم يكن عنده، كقولك: قام زيد، فقد أفدته العلم بقيامه، ومن الخبر ما يبتدى المخبر به، فيخص باسم <الخبر> ومنه ما يؤتى به بعد سؤال فيسمى <جوابا> كقولك في جواب من سألك: ما رأيك في كذا؟ فنقول رأيي كذا، وهذا يجوز أن يكون ابتداء منك فيكون خبرا، فإذا أتى بعد سؤال أتى جوابا كما قلنا"[(33)]، فالنوع الأول من الخبر الذي تحدث عنه هو نقل لواقعة لم يشهدها المُخبَر، فأخبره بها من كان حاضرا، وأضافها إلى علمه، أو لربما ذكره بها بصيغ متعددة كالفخر، الهجاء، الرثاء، الدعاء، التكرار ... إلخ، أما الجزء الثاني في تعريفه فإنه يأتي خبرا بصيغة استفهام، سؤال وجوابه، على أساس أن الاخبار عملية تفاعلية بين طرفين متكلم ومستمع، وكل طرف منهما مؤثر ومتأثر.

أنواع الخبر: الخبر نوعان "وقد اعتمد البلاغيون في تصنيف الخبر إلى أنواعه وسائل التوكيد من حيث نسبة حضورها في الخبر وموقف السامع من مضمون ذلك الخبر"[(34)] وهما أمران مترابطان كما يأتي:

1- الخبر غير المؤكد: وهو ما خلا من وسائل التوكيد، قصد فيه المخبر إعلام المُخبَر الذي هو السامع دون إقحام أدوات التوكيد والتقرير في العبارات الخبرية، وأدنى درجات التفاعل نجدها في هذا النوع، ذلك أن الخبر ينقل كما هو، فهو مجرد إخبار لا غير نحو:

- قدم عمر - الشمس مشرقة.

2- الخبر المؤكد: وهو عكس النوع الأول من حيث اشتماله على وسائل التوكيد وهو نوعان حسب عدد تلك الوسائل:

أ- **الخبر الطلبي:** "وهو الخبر المؤكد بأداة واحدة وفيه يتوقع المتكلم من سامعه عدة أمور ممكنة، كأن يكون شاكا في مضمون الخبر أو متردد في قبوله فهو منه بين

بين"[35] مما دعاه إلى استخدام وسيلة تأكيد واحدة، من أجل تقوية إخباريته، تخرج السامع من دائرة الشك والغموض إلى اليقين والوضوح، نحو:

- قد دخل الأب. - والله دخل الأب. - فرحة كانت الأم.

والمتفق عليه لدى البلاغيين أن التوكيد غالبا ما يأتي إثر تردد أو عدم قبول السامع لمضمون الخبر، فمثلا في قولنا: والله جاء المفتش. تستلزم وجود قول آخر ورد ما قبل الخبر – ولم يذكر – وهو أشك في مجيئ المفتش. وهو ما يعرف بالاستلزام الماقبلي الذي يرد في الخبر الطلبي بدرجة أقل ترددا منه في الخبر الإنكاري الذي سنأتي على ذكره، لذلك كان ينبغي لترسيخ الخبر في ذهن السامع استعمال وسيلة واحدة للتأكيد.

ب-الخبر الانكاري: وهو الخبر المؤكد بأكثر من أداة وسمي بالإنكاري ذلك أن الخبر الوارد من المخبر (المتكلم) منكرا من المخبر (السامع)، "ونسبة حضور أدوات التوكيد فيه ترتبط بمدى الإصرار عند كل من طرفي التواصل أحدهما رادا منكرا بمضمون الخبر والآخر محصنا بكلامه دافعا سامعه إلى قبوله، فاستعمال التأكيد إذا يرتبط بحدس المتكلم، وما يتراءى له من عناصر المقام، مع العلم أنه في الخطاب المؤكد نسبة التفاعل بين الطرفين أقوى من عرض الخبر الابتدائي والطلبي"[36]، نحو:

قوله تعالى: ﴿**وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُم بَعْدَ أَن تُوَلُّوا مُدْبِرِينَ**﴾ سورة الأنبياء الآية (57)، وقوله تعالى: ﴿**كَلَّا لَئِن لَّمْ يَنتَهِ لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ**﴾ **سورة العلق** الآية **(15)**، وقد أدرج ابن فارس في الصاحبي عدة معان للأسلوب الخبري فيقول: "والمعاني التي يحملها لفظ الخبر كثيرة"[37] فمنها:

1- **التعجب**: نحو ما أحسن زيدا.

2- **التمني:** نحو وددتك عندنا.

3- **الإنكار:** نحو ما له علي حق.

4- **النفي:** نحو لابأس عليك.

5- **الأمر**: نحو قوله جلّ ثناءه: ﴿**وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ**﴾ **البقرة** الآية **(228).**

6- النهي: نحو قوله: ﴿**وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ**﴾ **سورة الواقعة** الآية **(79).**

7- التعظيم: نحو قولي: سبحان الله.

8- الدعاء: نحو قولنا عفى الله عنه. فقد يرد **اللفظ خبرا والمعنى دعاء:** نحو قوله عز وجل: ﴿**إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ (5)**﴾ **الفاتحة**، والمعنى اللهم على عبادتك وأيضا نحو قولنا أستغفر الله والمعنى اللهم اغفر لي.

9- الوعد: نحو قوله عز وجل: ﴿**سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ**﴾ **فصلت** الآية **(53).**

10- الوعيد: نحو قوله عز وجل: ﴿**وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ**﴾ **سورة الشعراء** الآية **(227).**

11- الإنكار والتبكيت: نحو قوله عز وجل: ﴿**ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ**﴾ **سورة الدخان** الآية **(49).**

12- اللفظ خبرا والمعنى شرطا: نحو قوله عز وجل: ﴿**الطَّلَاقُ مَرَّتَانِ**﴾ **سورة البقرة** الآية **(229)**، والمعنى: من طلق امرأته مرتان فليمسكها بعدها بمعروف أو يسرحها بإحسان.

وقد يأتي طلب الخبر على صيغة الاستفهام ونسمي هذا استخبارا وهو طلب الخبر ممن عنده العلم بشيء ما، وهو ما ليس عند المستخبر والذي يطلبه بصيغة الاستفهام، والاستخبار استفهام على درجة من التفاوت بين الاثنين "ذلك أن أولى الحالتين – الاستخبار- لأنك تستخبر فتجاب بشيء فربما فهمته وربما لم تفهمه، فإذا سألت ثانية فأنت مستفهم، تقول: أفهمني ما قلته لي، قالوا: والدليل على ذلك أن البارئ جل ثنائه يوصف بالخبر ولا يوصف بالفهم"[38].

والخبر عموما هنا يقوم به طرفان مخبر ومستخبر، وقد وضح الجرجاني (ت471هـ) هذا بقوله: "فمن غير الثابت في العقول والقائم في النفوس أنه لا يكون خبرا حتى يكون مُخبرٌ به ومخبِرا عنه لأنه ينقسم إلى إثبات ونفي، والإثبات يقتضي مثبتا ومثبّتا له، والنفي يقتضي مُنفيا ومَنفيا عنه، ولو حاولت أن تتصور إثبات معنى أو نفيه من دون أن هناك مثبت له ومنفي عنه حاولت ما لا يصح في عقل ولا يقع في وهم،

ومن أجل ذلك امتنع أن يكون قصد إلى فعل من غير أن تريد إسناده إلى شيء مُظهر أو مقدّر وكان لفظك به إذا أنت لم ترد ذلك وصوتا تصوته سواء"[39].

وتقسيم الجرجاني هنا الخبر إلى مثبت ومنفي يعني خضوع كل قسم منه إلى معياري الصدق والكذب ولتوضيح ذلك نمثل بما يلي:

خبر مثبت ← دخل عمر ← يكون صادقا إذا وقع فعل الدخول (مطابقة الخبر للواقع)
← يكون كاذبا في حال عدم وقوع الفعل(عدم مطابقة الخبر للواقع)

خبر منفي ← لم تمطر السماء ← يكون صادقا في حال عدم نزول المطر(مطابقة الخبر للواقع)
← يكون كاذبا في حال نزول المطر (عدم مطالقة الخبر للواقع)

وما نخلص إليه عن مفهوم الأسلوب الخبري عند البلاغيين القدامى أنه يكمن في المقاصد لا الألفاظ والمباني ما جعل تراكيبه تتعدد والمعنى واحد غرضه الإخبار.

ج- الأسلوب الإنشائي:

الإنشاء لغة: من مادة (ن، ش، أ)، كثيرا ما ارتبط مفهوم الإنشاء في اللغة بمعان منها على الخصوص الخلق، الابتداء، الإبداع، الابتكار ... " ... والفعل نشأ ينشأ نشأ ونشأة ونشاءة والناشئة: أول الليل. وأنشأت حديثا: ابتدأت. وأنشأ الله السحاب فنشأ ينشأ، أي ارتفع ... "[40].

الإنشاء اصطلاحا: ويسمى أيضا الأسلوب الطلبي، وقد عرّفه أبو يعقوب السكاكي (ت 626هـ) في مفتاح العلوم بقوله: "لا ارتياب في أن الطلب في غير تصور إجمالا وتفصيلا لا يصح وأنه يستدعي مطلوبا لا محالة ويستدعي في ما هو مطلوبه أن لا يكون حاصلا وقت الطلب"[41]. والأسلوب الإنشائي لا يحتمل الصدق أو الكذب، كونه كلاما من إنشاء المتكلم، متحقق بمجرد النطق به سواء كان مطابقا للواقع أم لا، كقولنا: اضحك. ففعل الأمر هنا لا يمكن أن نقول عنه صادقا أو كاذبا كونه من إنشاء متكلم، وسمي بالطلب ذلك أن الغرض منه هو طلب القيام بشيء من المخاطب وهو قسمان:

الإنشاء الطلبي: يكون فيه انتظار حصول شيء من المخاطب كالأمر، النهي، الاستفهام، النداء.

الإنشاء غير الطلبي: وهو عكس الطلب، ينشأ من المتكلم دون انتظار شيء من المخاطب مثل: التعجب، صيغ المدح والذم، القسم.

وقبل عرض عناصر كل قسم نشير إلى أن الجمل الإنشائية تفيد نوعين من المعنى – باعتبار الإنشاء كلاما- معنى حرفي مباشر، ومعنى حاف غير مباشر، وفي الفصل بينهما أدوات ووسائط تبيّن ذلك والتي من بينها مقاصد المتكلم، المقام الذي ورد فيه الانشاء بالإضافة إلى علاقة المخاطِب بالمخاطَب ... وغيرها من الظروف التي أحاطت بالكلام أثناء عملية التلفظ تتعلق كلها بملابسات المقام وطرفا الخطاب. ويمكن اجمال هذا المبدأ في ما يلي: [42]

الانشاء:

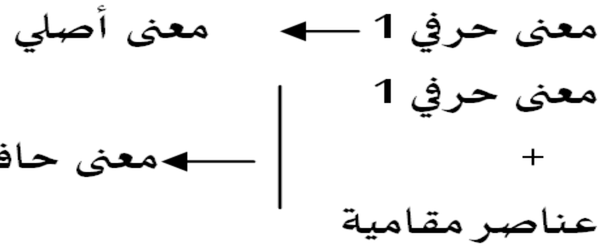

الإنشاء الطلبي:

1- الاستفهام: عموما هو طلب الحصول على العلم بشيء لم يكن معلوما من قبل، غالبا ما يأتي بصيغة سؤال ينتظر منه جوابا بعد طرحه، وللاستفهام أغراض كثيرة منها على سبيل المثال لا الحصر: التشويق، إثارة الذهن، التعجب، النفي ...

وقد حدد السكاكي الكلمة التي ترد في طلب الاستفهام بقوله: "للاستفهام كلمات موضوعة وهي: الهمزة، أم، هل، ما، من، أيُّ، كم، كيف، أين، أنَّ، متى، أيان بفتحة الهمزة وبكسرها"[43].

وقد قسّم السكاكي هذه الكلمات إلى ثلاثة أنواع:

النوع الأول: يختص طلب حصول التصور يتطلب الاستفهام هنا تفصيلا وتوضيحا من المخاطب، كقولنا: متى قدِمت؟ ما اسمك؟ ما اسم أبيك؟ ... يحتاج إلى جواب غير محدد.

النوع الثاني: يختص حصول التصديق والغرض من الاستفهام هنا إثبات أو نفي لأمر ما كقولنا أتى المدير أم لا؟ فتجاب بنعم أو لا وكقولنا أتى عمر أم زيد؟ فتكون الاجابة بأحدهما.

النوع الثالث: وهو الاستفهام البلاغي، لا يختص فلا يوجد به طلب أو توضيح ولا تفصيل ولا تصديق بل للاستفهام هنا أغراض غير ذلك كالنفي، والتأكيد، والانكار والتمني، بالإضافة إلى التشويق والاغراء.

أغراض الاستفهام:

النفي: كقوله تعالى: ﴿**قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ**﴾ **سورة الزمر الآية 09**، فظاهر الآية استفهام، والمعنى البلاغي وراء ذلك وعدم تساوي العالم والجاهل.

التقرير والتأكيد: كقوله تعالى: ﴿**أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ**﴾ **سورة الشرح** الآية **(1)**، الآية الكريمة في ظاهرها استفهام كونها بدأت بألم غير أن المعنى البلاغي لها إثبات وتأكيد من الله عز وجل على تنويره صدر المؤمن بأن هداه إلى الإسلام فأزال عنه بذلك الضيق وصار ذا صدر رحيب فسيح. وكقوله عز وجل: ﴿**هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ**﴾ **سورة فاطر(3).**

الإنكار: كقوله تعالى: ﴿**أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ**﴾ **البقرة الآية (44).** كذلك هنا الحال استفهام على مستوى الألفاظ والمعنى غير ذلك فهو معاتبة من الله عز وجل لمن يدعون إلى دينه ويتركون أنفسهم، فهنا استنكار لفعل كان الأولى لهم البدء بأنفسهم فيه.

التمني: يأتي الاستفهام تمنيا إذا كان بإمكاننا تقدير أداة الاستفهام بأداة التمني (ليت) وأتى المعنى مستقيما كقوله تعالى: ﴿**فَهَل لَّنَا مِن شُفَعَاءَ(53) سورة الأعراف. وأيضا قوله تعالى: فَيَقُولُوا هَلْ نَحْنُ مُنظَرُونَ(203)** ﴾**سورة الشعراء.**

فمعنى الآيتين الكريمتين منهم على جهة التمني والرغبة حيث لا تنفع الرغبة.

التشويق والإغراء: وهو استفهام لفظا وإغراء وإثارة انتباه معنى، كقوله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ**﴾ **الصف** الآية

(10). فرغم ورود اسم الاستفهام هل في الآية الكريمة غير أنه هنا لا يتطلب جوابا وإنما يحمل غرضا بلاغيا وهو التشويق ولفت انتباه السامع.

2- **الأمر:** "وهو طلب الفعل على وجه الاستعلاء والإلزام، ويقصد بالاستعلاء أن ينظر الآمر لنفسه على أنه أعلى منزلة ممن يخاطب أو يوجه الأمر إليه، سواء أكان أعلى منزلة منه في الواقع أم لا"[44]، وللأمر هو الآخر معنى أصلي ومعنى بلاغي:

المعنى الأصلي: وهو ما يأتي بإحدى صيغ الأمر الأربعة تنوب كل منها مناب الأّخرى في طلب أي فعل من الأفعال وهي: [45]

فعل الأمر: كقولنا: ربنا اغفر ذنوبنا.

فعل المضارع: المقرون بلام الأمر كقوله عز وجل: ﴿**فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَٰذَا الْبَيْتِ**﴾ **سورة قريش** الآية **(3)**. وكقوله ﷺ: من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليحسن إلى جاره.

اسم فعل الأمر: كقوله عز وجل: ﴿**عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ**﴾ سورة المائدة الآية **(105)**، أي التموا أنفسكم فلا يضركم من ضل بعد هدايتكم.

المصدر النائب عن فعله: كقوله عز وجل: ﴿وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ سورة الإسراء الآية**(23)**، أي عليكم بطاعة الوالدين ففي الآية الكريمة أمر بالإحسان إليهم، فحذف الفعل وناب عنه نائب المصدر إحسانا وتقديره أحسنوا إلى الوالدين إحسانا.

أغراض الأمر البلاغية: وتفهم من سياق الكلام ومنها على سبيل المثال: الدعاء، النصح، الإرشاد، الذم، التحقير، التحصر ....، وقد جمعها السكاكي في قوله " ... تولد بحسب قرائن الأحوال حسب ما ناسب المقام، إذ استعملت على سبيل التضرع كقولنا: اللهم اغفر وارحم، ولدت الدعاء. وإذا استعملت على سبيل التلطف كقول كل أحد لم يساوه في المرتبة: افعل، بدون الاستعلاء ولدت السؤال والالتماس كيف عبّرت عنه. وإن استعمل في مقام الإذن كقولك: جالس الحسن أو ابن سيرين، لم يستأذن في ذلك بلسانه أو بلسان حاله، ولدت الإباحة، وإن استعملت في مقام تسخط المأمور به ولدت التهديد على ما تقدم الكلام في أمثال ذلك"[46].

ونوضح قوله في ما يلي:

الدعاء: ويرد على سبيل الاستغاثة والعون والتضرع وتيسير الأمور وما شابه ذلك كقوله عز وجل: ﴿**قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي ويَسِّرْ لِي أَمْرِي وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي يَفْقَهُوا قَوْلِي**﴾ سورة طه الآيات من (25 إلى 28)، وهو أمر من البشر إلى الله عز وجل بمعنى مخاطبة الأدنى لمن هو أعلى منه منزلة وشأنا.

الالتماس: إذا كان فعل الأمر بين اثنين متساويين في المرتبة والمنزلة أو المكانة كقول أحد للآخر: يا صاحبي أغلق الباب، ففعل الأمر هنا التماس لأن الآخر والمأمور رفيقان يستويان قدرا ومنزلة.

الإباحة: "وتكون الإباحة حيث يتوهم المخاطب أن الفعل محظور عليه فيكون الأمر إذنا له بالفعل ولا حرج عليه في الترك"[(47)] كقوله تعالى: ﴿**وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ**﴾ **سورة البقرة الآية (187).**

التهديد: إذا كان الكلام في فعل الأمر يتضمن تحذيرا وتهديدا فيخيف ويريب المأمور كقولنا: لا تصلي وسترى عاقبة ذلك.

وغيرها من الأغراض الكثيرة التي يحملها الأمر كالتمني في قولنا: ألا أيها الليل الطويل ألا أنجلي بصبح، والنصح والإرشاد في قولنا: دع ما يؤلمك، وتعجيز ...

3- النهي: "للنهي حرف واحد وهو لا الجازم في قولك: لا تفعل، والنهي محذو به حذو الأمر بأن أصل الاستعمال لا تفعل، أن يكون على سبيل الاستعلاء بالشرط المذكور، فإن صادف ذلك أفاد الوجوب وإلا أفاد طلب الترك فحسب، ثم إن استعمل على سبيل التضرع كقول المبتهل إلى الله لا تكلني إلى نفسي سمي دعاء، وإن استعمل في حق المساو الرتبة لا على سبيل الاستعلاء سمي التماسا وإن استعمل على حق المستأذن سمي إباحة، وإن استعمل في مقام تسخط الترك سمي تهديدا**"**[(48)].

ونمثل لكل ضرب عن هذا بما يلي:

الدعاء: كقوله عز وجل: ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا﴾البقرة الآية (286).

الالتماس: كقوله عز وجل:﴿**قَالَ يَا ابْنَ أُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِي**﴾طه الآية (94).

التهديد: قال الطبيب متوحدا المريض: **لا تقلع عن التدخين !** بالإضافة إلى الإباحة فإن النهي يأتي في معنى التيئيس كقوله تعالى: ﴿**لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ**﴾التوبة الآية **(66).**

التمني: "وهو إنشاء إرادة حدوث أمر ما، وإرادة الشيء لا تعني إمكان حصوله لذلك ذهب بعض البلاغيين إلى أن التمني يتعلق بالأمر الممكن والممتنع (المستحيل وقوعه) في حين يتعلق الترجي بالممكن فقط"[(49)]، أداته الأصلية ليت غير أن هنالك أدوات أخرى هي: لو، هل، عسى، لعل:

لو: تمني ما ندر حدوثه.

هلّ: تمني قريب الحدوث.

عسى: ليت تريد استحالة الحدوث.

وأفعال التمني كثيرة مثل: آمل، أرجو، أتمنى ...

4-النداء: " وهو النوع الخامس والأخير من أنواع الإنشاء الطلبي وهو إقبال المدعو على الداعي بأحد حروف مخصوصة ينوب كل حرف منها مناب الفعل أدعو"[(50)]، حروفه وأدواته ثمانٍ: الهمزة، أي: ينادى بهما للقريب، وا –أيا- هيا: ينادى بهما للبعيد، يا لنداء القريب والبعيد.

أغراضه البلاغية: قد يخرج النداء من معناه الأصلي إلى معانٍ أخرى تعرف من سياق الكلام والحال:

- **التحصر:** كقول الشاعر يرثي ابنته: يا درة نزعت من تاج والدها.
- **التعجب:** كقول أبي العلاء المعري: فواعجبا كم يدعي الفضل ناقص.
- **الندب والاستغاثة:** وها كبدي ! ويا أماه ! وامعتصماه ! ...
- **التنبيه:** يا صاحبيْ أنظرا أمامكما.
- **التعظيم:** يا سفراء العلم والمعرفة.

إلى غير ذلك من الأغراض البلاغية من أسلوب النداء كالاستبعاد، الزجر ... والتي تعرف معانيها من خلال السياق التي وردت فيه.

الإنشاء غير الطلبي: ويضم صيغ المدح والذم والتعجب والقسم وصيغ العقود:

1- التعجب: " وهو إنشاء يعبر عن انفعال قائم على الاعجاب سلبا أو إيجابا"[51] كونه إفراط في التعظيم لشيء متعجب منه ألحق في نفس المتعجب تأطيرا ليس من العادة عنده، "والتعجب في كلام العرب على قسمين: قسم بوّب له في علم النحو، وقسم لا يبوّب له ومنه"[52]:

-القسم ما دخل عليه لام الجر كقولنا: لله لأضربنه. إذا تعجبت من ضربك إياه.

-النداء ما دخل عليه لام الجر كقولهم: يا للعجب – يا للماء ...

-الاستفهام كقولنا: أيّ رجل زيد !

-النفي: كقولنا: يا جارتنا ما أنتِ جارة.

وهذه الصيغ كلها والتي نقلت من معناها الأصلي (النداء، الاستفهام، النفي، القسم ...)، إلى معنى التعجب لم يبوب لها في كتب النحو كما ذكرنا آنفا وإنما بُوّب بصيغتين اثنتين هما ما أفعله وأفعِل به نوضحها بشكلين لا يقبلان تقديما ولا تأخيرا في عناصرهما:

فعل التعجب+ مكون منصوب (مفعول به): ما أجمل الوردة (أي ما جعلها حسنة) !

الفعل+ بـ+ مكون مجرور (فعل): أكرم بزيد.

2-المدح والذم: "ومن أشهر الكلمات التي وضعت للمدح والذم العام كلمتي نعم وبئس"[53] على اعتبار المدح أسلوبا للدلالة على الإعجاب بأمر ما، وثم استهجانا منه فنستعمل للمدح بالإضافة إلى نعم حبذا، وللذم بئس ولا حبذا كقولنا: نعم خلق المرء الوفاء، بئس رفقاء السوء.

حبذا الصدق ولا حبذا الكذب.

وما تجدر الإشارة إليه أن بئس ونعم حبّ ولا حبذا أفعال جامدة ليس لها مضارع ولا أمر. ولا يشتق منهما.

3-القسم: "وهنا إنشاء توكيد الكلام"[54]. كالحلف بشيء مقدس أو التعظيم به ويقوم القسم على عنصرين:[55]

مقسم به: ذات أو مفهوم مقدس، تتعدد حسب الثقافات وحسب العصور:

ذات مقدسة ←—— إله، رسول، رجل صالح، نص مقدس ...

ذات محبوبة ← فرد من العائلة، أب، أم، أخ ...

أمر عزيز عند شخص ← ما الرأس، الحياة ...

قيم اجتماعية ← الشرف، الحق ...

مقسم عليه: وهو الكلام المراد تأكيده.

مثال: والله لأكرمنك. فالمقسَم به الله عز وجل وهو من أسماء القسم التي يرمي المُقسِم من خلالها إلى تحصين مضمون خطابه وهو في هذا المثال الإكرام للمقسِم له.

ومن أفعال القسم: أقسم، حلف، عاهد، أشهد الله ... وقد يحدث فعل القسم من الجملة ويبقى المقسم به ويكون كافيا لإنشاء القسم. نحو: الله لأخرجن.

وأسماء القسم: الحلف، اليمين، القسم، عهد الله ...

ومن حروف القسم:

(بـ). كقولنا بالله لأخرجن، (و)والله لأخرجن، (ت) - تالله لأخرجن، (ل) لله لأخرجن.

4-صيغ العقود: وهو كل ما تلفظ به المتكلم فتولد عنه حدث له قيمة كبيع وشراء، أو عقد أو ضمان، أو رهن، أو وكالة، أو دين، غالبا ما تكون صيغه في الماضي نحو قامت الصلاة، زوجتك إبنتي، رفعت الجلسة، وهبتك مالا ... نرحب بكم.

ولنجاح إنشاء صيغ العقود ينبغي أن يتوفر في المتكلم القصد في الإحداث والسلطة على الحدث.

حوصلة وتقييم:

إن ما نخلص إليه في هذه المقالة نجسده في بعض الإسقاطات لنظرية أفعال الكلام عند فلاسفة أكسفورد على الأسلوبين الخبري والإنشائي لدى البلاغيين العرب القدامى ومن أهمها ما يلي:

1- تتطابق تقسيمات البلاغيين العرب قديما إلى خبر وإنشاء مع رؤية فلاسفة أكسفورد **أوستين وسيرل** حديثا حول وجود استعمالات متباينة للغة تؤدي في جوهرها معانٍ ذات غرض معين.

2- تناولت الدراسات التراثية البلاغية العربية مفهوم الأفعال الإنجازية المباشرة وغير المباشرة عند **أوستين** فيما يسمى بالمعنى الحرفي وهو المعنى الصريح، والمعنى الحاف أو البلاغي.

3- غالبا ما يأتي الفعل المتضمن في القول بأساليب إنشائية طلبية كالاستفهام والأمر والنهي ... والتي تنجز بقول ما.

4- يأتي الفعل الناتج عن القول بالمصطلح الأوستيني كرد فعل للسامع والذي يتجسد في العربية في مدى استجابة المخاطَب للإنشاء الطلبي على اعتبار أن المخاطِب ينتظر حصول شيء منه.

5- يقابل الأسلوب الخبري في التراث البلاغي العربي مصطلح الاخباريات في تقسيمات أوستين للأفعال الكلامية، ذلك أنهما بمضمون واحد يرمي تزويد السامع بما ليس له به علم.

6- تشمل الإلزاميات بتقسيم سيرل وأفعال التكليف عند أوستين صنفين من الإنشاء غير الطلبي في العربية هما القسم وصيغ العقود، بينما تتطابق أفعال المدح والذم مع التعبيريات عند سيرل والأفعال التمرسية عند أوستين انطلاقا من مبدأ التعبير عن موقف نفسي أثناء انجازنا لقول.

مراجع البحث وإحالاته:

1- مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب، دار الطليعة، بيروت، ط1، 2005، ص: 20.

2- ينظر مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب، دار الطليعة، بيروت، ط1، 2005، من ص22-24 ؛ وخديجة بوخشة، محاضرات في اللسانيات التداولية، مستوى س3، ل م د، من ص8-15.

3- المرجع نفسه، ص: 23.

4- طالب سيد هاشم الطبطبائي، نظرية الأفعال الكلامية بين فلاسفة اللغة المعاصرين والبلاغيين العرب، مطبوعات جامعة الكويت، 1994، د و، ص: 1.

5- مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب، ص: 23.

6- محمود فهمي زيدان، في فلسفة اللغة، دار النهضة العربية، بيروت، 1985، د ط، ص: 51.

7- مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب، ص: 24.

8- صلاح اسماعيل عبد الحق، التحليل اللغوي عند مدرسة أكسفورد، دار التنوير، بيروت، 1993، ط1، ص:58.

9- مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب، ص: 40.

10- درقاوي كلتوم، تعليمية التعبير الشفهي من خلال النص المسموع لدى تلاميذ السنة أولى من التعليم الابتدائي، مجلة لغة -كلام، م3، ع1، 2017، ص: 112.

11- مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب، ص: 40.

12- محمود أحمد نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، دار المعرفة، الاسكندرية، 2002، ص: 40.

13- المرجع نفسه، ص: 61، بتصرف.

14- المرجع نفسه، ص: 61، بتصرف.

15- خليفة بوجادي، في اللسانيات التداولية مع محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم، بيت الحكمة، سطيف، الجزائر، 2012، ط2، ص: 78.

16- صحراوي، التداولية عند العلماء العرب، ص41-42، بتصرف.

17- أوستين، نظرية أفعال الكلام العامة، كيف ننجز الأشياء بالكلام، تر: عبد القادر قنيني، إفريقيا الشرق، 1991، ص: 121.

18- المرجع نفسه، ص: 122.

19- الجيلالي دلاش، مدخل إلى اللسانيات التداولية، تر: محمد يحياتم، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون، الجزائر، دط، ص: 24.

20- فرنسواز أرمنكو، المقاربة التداولية، تر: سعيد علوش، مركز الإنماء القومي: 1987، ط1، ص: 62-63.

21- خليفة بوجادي، في اللسانيات التداولية، ص: 79.

22- المرجع نفسه، ص: 80.

23- محمود أحمد نحلة، آفاق في البحث اللغوي العاصر، ص72.

24- المرجع نفسه، ص: 72.

25- المرجع نفسه، ص: 49، بتصرف.

26- مسعود صحراوي، الأفعال الكلامية عند الأصوليين، مجلة اللغة العربية، ع10، 2004، ص: 182.

27- عبد العزيز عتيق، علم المعاني، دار النهضة العربية، 2009م، ط1، ص: 42.

28- الخليل بن أحمد الفراهيدي، كتاب العين، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، دار العلوم، القاهرة، دط، ج2، ص: 383.

29- الأزهر الزناد، دروس في البلاغة العربية، المركز الثقافي الإسلامي، بيروت، 1992م، ط1، ص: 99-100.

30- ابن فارس، الصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها، المكتبة السلفية، القاهرة، ع5، 1910م، ص: 150.

31- عبد العزيز عتيق، علم المعاني، دار النهضة العربية، ص: 43.

32- المرجع نفسه، ص: 43.

33- نبيل فرج قدامى بن جعفر، نقد النثر، دار الكتب العلمية، بيروت، 1980م، ص: 44.

34- الأزهر الزناد، دروس في البلاغة العربية، ص: 100.

35- المرجع نفسه، ص: 102.

36- المرجع نفسه، ص: 103.

37- ابن فارس، الصاحبي في فقه اللغة، ص: 150.

38- المرجع نفسه، ص: 151.

39- عبد القاهر الجرجاني، دلائل الاعجاز، تحقيق محمد شاكر، مكتبة الخانجي، ص: 527.

40- خليل بن أحمد الفراهيدي، كتاب العين، ج4، ص: 220.

41- أبو يعقوب السكاكي، مفتاح العلوم، تر: نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، لبنان، ط2، 1978، ص: 302.

42- الأزهر الزناد، دروس في البلاغة العربية، ص: 107.

43- أبو يعقوب السكاكي، مفتاح العلوم، ص: 308.

44- عبد العزيز عتيق، علم المعاني، ص: 75.

45- المرجع نفسه، ص: 86.

46- أبو يعقوب السكاكي، مفتاح العلوم، ص: 319.

47- عبد العزيز عتيق، علم المعاني، ص: 79.

48- أبو يعقوب السكاكي، مفتاح العلوم، ص: 320.

49- الأزهر الزناد، دروس في البلاغة العربية، ص: 128.

50- عبد العزيز عتيق، علم المعاني، ص: 114.

51- الأزهر الزناد، دروس في البلاغة العربية، ص: 139.

52- أبو حيان النحوي الأندلسي، منهج السالك في الكلام على ألفية ابن مالك، تحقيق: زيدني جلازر، دار أضواء السلف، 1947م، ط1، ص: 369.

53- عبد السلام محمد هارون، الأساليب الإنشائية في النحو العربي، مكتبة الخانجي، 2001م، ط5، ص: 100.

54- الأزهر الزناد، دروس في البلاغة العربية، ص: 141.

المرجع نفسه، ص: 141